الوطنية في فلسفة محمد اقبال الشعرية

Patriotism in the Poetic Philosophy of Muhammad Iqbal

Dr Zaib Un Nisa
Assistant Professor of Arabic
Govt Graduate College (W) Sheikhupura
Email: zaib.nisa03@gmail.com

ABSTRACT
Patriotism is the love and loyalty of an individual to his homeland, which includes the land, people, customs, traditions, and pride in the history of the homeland. Patriotism means to feel an association to the homeland, possessing national qualities, and loving the homeland. It instills a continuous passion in their souls for the homeland. It makes a person find peace in it, yearn for it when far from it, defend it when it is attacked, and get furious if someone betray it.
It is noteworthy that we find patriotic poetic verses by poets in all nations and countries. Poets of the Arabian Peninsula and those of the Indian subcontinent, including Pakistani poets, did not lag behind in this field compared to the poets of other regions. They contributed with significant efforts and came up with precise descriptions of various elements of patriotism.
Studying the aspect of patriotism in the poetry of Muhammad Iqbal is of particular importance. It motivates people towards revolution, greatness, and dignity, and fills their souls with hope. It also encourages leaving laziness, betrayal, servitude, humiliation, and insult.
Keywords: Patriotism, Homeland, Poetry, Muhammad Iqbal, Revolution

إن الوطنية هي حب الفرد وإخلاصه لوطنه الذي يشمل كل من ينتمي إلى الأرض والناس والعادات والتقاليد، والتفاني في خدمة الوطن، والافتخار بتاريخ الوطن، وإن الوطنية تعني الإحساس بالوطن، وامتلاك صفات الوطنية وحباً للوطن والدفاع عنه، وحب الوطن غزيرة متأصلة في النفوس، تجعل الإنسان يستريح إلى البقاء فيه، ويحن إليه إذا غاب منه، ويدافع إذا هو جم، ويغضب له إذا انتقص.

الجديد بالذكر أن هذا الموضوع أي الوطنية قد حظى باهتمام الشعراء عند جميع الشعوب والأمم، وإن شعراء الجزيرة العربية وشبه القارة الهندية الباكستانية لم يتخلفوا في هذا المجال عن الشعراء الآخرين، بل أسهموا بإسهامات جزيلة، وجاءوا بأوصاف دقيقة لعناصر الوطنية المختلفة.

إن دراسة الناحية الوطنية في شعر محمد إقبال هي ذات أهمية خاصة، وأنها تحرض الناس على الثورة والعظمة والرفعة، وتنفخ في النفوس أملاً ورجاءً وتحرض على ترك الكسلان والخذلان والعبودية، والذلة، والإهانة. الآن نقدم مفهوم الوطنية لغةً واصطلاحاً:

الوطنية لغةً:

وطن: اسم، والجمع أوطان، الوطن مكان إقامة الانسان ومقره وإليه انتماؤه، ولد به أم لم يولد، **الوطن:** مَرْبِضُ البقر والغنم الذي تأوي إليه، والجمع أوطان، **الوطن:** الأم: الوطن الأصلي موضع الولادة وطن المولد، والجمع أوطان، **وطّن فلان:** بالمكان، أقام به وسكنه وألفه واتخذه وطناً، **وطّن فلانا:** أنزله سكنا يقيم فيه، وطن البدو: نقلهم من حال البداوة والترحال إلى الإقامة الدائمة، وطّن الشخص بالبلد: أتخذه محلاً وسكناً يقيم فيه1 **الوطنية:** اسم مؤنث منسوب إلى وطن.

الوطن لغةً هو محل الإنسان مطلقاً، فهو السكن بمعنى: استوطن القوم الأرض و توطنوها، أي اتخذوها سكناً، وهو عند أهل السياسة مكانك الذي يحفظ حقك فيه ويعلم حقه عليك، و تأمن فيه على نفسك وآلك ومالك ومن أقوالهم فيه: لا وطن إلا مع الحرية، وقيل أيضاً: لا وطن في حالة استبداد، وكان حد الوطن عند قدماء الرومانيين: المكان الذي فيه للمرء حقوق وواجبات سياسية2. والوطن في اللغة هو: المنزل تقيم به، وهو موطن الإنسان ومحله3.

وأما الوطنية فمعناها أن يشعر جميع أبناء الوطن الواحد بالولاء لذلك الوطن، والتعصب له، أياماً كانت أصولهم التي ينتمون إليها وأجناسهم التي انحدرها منها، أي أن الولاء فيها الأرض بصرف النظر عن القوم أو اللغة أو الجنس.

والقومية معناها أن أبناء الأصل الواحد واللغة الواحدة ينبغي أن يكون ولاؤهم واحداً وإن تعددت أرضهم وتفرقت أوطانهم وإن كان معناها أيضاً السعي في النهاية إلى توحيد الوطن بحيث تجتمع القومية الواحدة في وطن شامل، فيكون الولاء للقومية مصحوباً بالولاء الأرض، ولكن الولاء للقومية يظل هو الأصل ولو لم تتحقق وحدة الأرض4. الوطنية هي التعلق بالوطن والرغبة في خدمته والتضحية لأجله5.

قد يقال إن الشعور بالوطنية اصطلاح فرنكي، انتقلت بذوره إلى الشرق من مطاوي العلوم العصرية وأصول المدنية الحديثة التي اهتدى إليها أهل الغرب6. ونلاحظ ظاهرة الوطنية في شعر إقبال تحت النقاط التالية.

فكر الوطن:

إقبال يحب وطنه حباً جماً ونجد في شعره عواطف نفسيه عميقة رائعة للوطن وينفخ في شعبه أملاً وروحاً جديداً لحصول العظمة والرفعة وكما نلاحظ أن شعر إقبال مملوء بعشق الوطن وحبه وفكره وفضله

ويبكى بكاءاً كثيراً على حالة أهل وطنه ويرغب قومه إلى فكر الوطن ومستقبله، كما يقول في قصيدة " تصوير درد" أي صورة الألم ":

رلاتا ہے تیرا نظاراا ے ہندوستان مجھ کو
کہ عبرت خیز ہے تیرا فسانہ سب فسانوں میں
دیارونا مجھے ایسا کہ سب کچھ دے دیا گیا
لکھا کلک ازل نے مجھ کو تیرے نوحہ خوانوں میں 7

يبكى الشاعر على حال وطنه قائلاً يا هندوستان! أبكتني منظرك وحالك لأن قصصك ذو العبرة من القصص وأعطتني بكاءاً كأنما أعطتني كل شيء وكتبني القلم الأزلي من نواحك.

وطن کی فکر کر ناداں مصیبت آنے والی ہے
تیری بربادیوں کے مشورے ہیں آسمانوں میں
نہ سمجھو گے تو مٹ جاؤ گے اے ہندوستان والو
تمہاری داستان تک بھی نہ ہو گی داستانوں میں 8

يعظ اقبال لأهل وطنه أي فكر في الوطن يأيها الجاهل و يشاور لفسادك في السماء ولذا لاحظ جيّدا ماذا يكون و سيكون ويا أيها المواطنون ان لم تفهموا فتعفوا من الأرض وما يوجد حكايتكم بين حكايات العالم كلّه. ويوضح شاعرنا هذا الفكر بقوله:

اجاڑا ہے تمیز ملت و آئین نے قوموں کو
میرے اہل وطن کے دل میں کچھ فکر وطن بھی ہے 9

أي دمّر وهلك فرق الملل و الدساتير أقواماً، وهل في قلب أهل وطني فكر الوطن.

تم ينبّه الشاعر الشان المسلمين ويقصد منهم الاعتناء والاخلاص بأمور الوطن أو أن يكون منتظرين للخراب والدمار والهلاك بحيث يقول:

جلاتا ہے مجھ کو ہر شمع دل کو سوز پنہاں سے
تیری تاریک راتوں میں چراغاں کر کے چھوڑوں گا 10

في هذا البيت يظهر الشاعر حبه وحميمه لوطنه الجميل الخلّاب ويخبرنا بأنه لا يزال على تحريق كل شمعة وطنه ويسعى دائما على أن ينير الليالي المظلمة من وطنه ولو على قيمة تضحية نفسه وماله وأهله.

الحنين إلى الوطن:

إن الانسان يحب وطنه فطرياً ويستطيع أن يضحى لوطنه حسب قدرته وطاقته لأن الحب والحنين لوطنه أساس فطري. كما يقول شاعرنا:

یادِ وطن فسردگی بے سبب بنی
شوق نظر کبھی، کبھی ذوق طلب بنی 11

أي سبب ذكرى الوطن الحزن بلا سبب ظاهري، وصار ذكرى الوطن سبب الرؤية حيناً وحيناً سبب الطلب. لهذا السبب يصل الشاعر إلى النتيجة بأن الغرابة عذاب في أي صورة كانت، ولذا يقول:

رخصت اے بزم جہاں! سوئے وطن جاتا ہوں میں
آہ اس آباد ویرانے میں گھبراتا ہوں میں 12

فكر وحدة الملة:

كما إن حب الوطن لازم ويملك مكاناً خاصاً وأهمية بالغة في حياة الانسان كلها ويقول محمد إقبال عن الوطنية: " إذا كان معنى القومية هو حب الوطن وتضحية النفوس له فهذه القومية هي جزء ايمان المسلمين".13

لما يأبى اقبال حدود الوطنية والقومية ولكن هو يرحب بالقومية العالمية للمسلمين وينكر تقيد المسلمين في قطعات أرضية محدودة ومنقسمة. فيقول إقبال نظراً إلى الحياة الاجتماعية للأقوام و القبائل "إذا كان مدارها على الأنساب وحدود الدول فهذا جانب مؤقت و عارض، فلا اعتراض لدى إذا كان الأمر لهذه الجثية والصورة".14

ونلاحظ أن فكر الملة ووحدة الملّة قد بدأ يسيل في فكر إقبال عام ١٩٠٥م إلى ١٩٥٨م وخلال سفره إلى أروبا قد علم شاعرنا محمد إقبال فكر القومية الغربية وانكشف على إقبال حقيقة فكر الأقوام الغربيين وبدأ الشاعر يوضع ينشر أمام الناس فكر الملة الإسلامية الواسعة وحث قومه على هذا الشعور، ويحضّ الشاعر قومه على الوحدة قائلاً:

چیست ملت اے کہ گوئی لا الہ؟
بایزاراں چشم بودن یک نگہ 15

يشير إقبال في القصيدة "نداء الجمال" إلى الوحدة الأمة الإسلامية. ويخاطب الشاب المسلم ويسأله عن الوحدة، ثم يجيب نفسه أن الوحدة هي أن آلاف عين تنظر منظراً واحداً، في هذا البيت يحث الشاعر الأمة الإسلامية على الوحدة، فيجب على الأمة أن يكون هدفها هدفاً واحداً.

كما يدعو الشاعر قومه إلى وحدة الملة بأساليب مختلفة وعديدة فيقول:

بتان رنگ وخون کو توڑ کر ملت میں گم ہو جا
نہ تورانی ہے باقی، نہ ایرانی نہ افغانی
یہ ہندی، وہ خراسانی، یہ افغانی وہ تورانی
تو اے شرمندہ ساحل اچھل کر بیکراں ہو جا16

ونظم إقبال هذه القصيدة، "طلوع الإسلام" سنة ١٩٣2م، هي آخر قصيدة من كتابه"بانك درا" أي "صلصلة الجرس" وهي قصيدة رائعة وذاخرة بالأفكار العميقة الجميلة. وهناك يدعو الشاعر إلى ختام الفوارق اللونية والجنسية، وينصح بانهدام وانكسار أصنام اللون و الدم والجنس، والربط بالملة بحيث لا يكون تورانياً أو فارسياً أو أفغانياً أو هندياً أوخراسانياً، ويتأكد باتصال الملة الوحدة العظيمة الكبيرة. كما يقول اقبال:

نرالا سارے جہاں سے اسکو عرب کے معمار نے بنایا
بنا ہمارے حصار ملت کا اتحاد وطن نہیں ہے17

شاعرنا يعتقد ويدعي بأن أساس الأمة المحمدية هو وحدتهم الدينية، وقد صنع بناء العرب محمد صلى الله عليه وسلم ملته النادرة الفذة الجيّدة الرائدة من العالمين و أساس الملة يمنعهم أن يقسموا في قطاع صغيرة مقيدة مختلفة في حدود الوطن الضيّقة المحدودة، و أساس حصار ملتنا هو الاتحاد والوحدة فقط و يبنى هذا النظام على قوّة الدين والرابطة بين الملة.

يرتكز الشاعر على أساس الملة الاسلامية وكرّس حياته لكي يخلق في أذهان الناس عامة والمسلمين خاصة بعبادي الإسلام حيث لا يقسم العالم إلى أجناس أو ألوان أو طبقات وحيث لا يقيّد الانسان تحت شعارات من القوميات أو أيّة أسماء أخرى سوى الحق و التوحيد والإخلاص. كما يقول إقبال:

باوطن وابستہ تقدیر امم
بر نسب بنیاد تعمیر امم
ملت ما را اساس دیگر است
ایں اساس اندر دل ما مضمر است18

يشير إقبال في قصيدته "اركان أساسية للأمة الإسلامية" إلى أصل وأساس الأمة الإسلامية هو التوحيد بحيث يقول أن أساس الملة الإسلامية الواسعة مبني على التوحيد لا على الوطن والتراب والنسب والجو والمناخ ولذا المسلمون لا يقيدون أنفسهم بحدود الأزمنة والأمكنة المختلفة.

إن التوحيد دليلٌ اساسيٌ على الاختلاف الحقيقي بين المؤمن و الكافر وأيضا من صفات الإنسان الكامل.

يخبرنا الشاعر بأن وطنه هو سبب سروره وحزنه، وعيشه و موته، وعندما يزين العالم بألوانه الخلاّبة أو يسبّب لنفع الأقوام في الأمور المختلفة، فأنا أريد أن أربح من نفعه وأذكر الأيام الوطنية.

الفخر بالأجداد:

إن العظمة والمجد والعزة من ميراث المسلمين ولكن بسوء حظهم نسوا هذا الميراث ورضوا على قومه على حياة الذلة والإهانة والخذلان ولكن الشاعر يعزم أن يرى قومه المجد والعظمة، فيذكر المسلمين شأنهم ومقامهم عزتهم وه حرّضهم على حصول المجد والعظمة المفقودة والعمل البارز للوصول الهدف، لأن المجد والعظمة والعروج والطموح والعلالتلك الشعوب التي لا تزال تسعى لحصول الأهداف المقصودة. كما يقول الشاعر:

کبھی اے نوجوان مسلم تدبر بھی کیا تو نے
وہ کیا گردوں تھا تو جو جس کا ایک ٹوٹا ہوا تارا
تجھے اس قوم نے پالا ہے آغوشِ محبت میں
کچل ڈالا تھا جس نے پاؤں میں تاجِ سر دارا19

هذه الأبيات من قصيدة رائعة معروفة "خطاب به جوانان إسلام" أي خطاب إلى شبان الإسلام، التي تعد من أروع القصائد الأردية ذات تأثير عميق في قلوب الناس و أذهانهم هناك يخاطب الشاعر إلى شبان القوم ويحثهم على التفكر والتدبر ويشبههم بالنجوم المنكسرة ويشبه أسلافهم بالسماء لأنهم فتحوا البلاد المختلفة في العالم كبلاد الفارس و عاشوا في العالم بالعظمة والرفعة، فلذا يجب على شبان القوم أن يتعظوا ويحصلوا الدروس القيمة من ماضيهم الزاهر و المشرق. ويبين الشاعر الأعمال الجيّدة الرفيعة لأسلاف قومه بقوله:

مغرب کی وادیوں میں گونجی آواز ہماری
تھمتا نہ تھا کسی سے سیل رواں ہمارا
باطل سے دبنے والے اے آسماں نہیں ہم

سو بار کر چکا ہے تو امتحاں ہمارا
اے گلستان اندلس !20وہ دن یاد ہیں تجھکو
تھا تیری ڈالیوں میں جب آشیاں ہمارا
اے موج دجلہ 21تو بھی پہچانتی ہے ہم کو
اب تک ہے تیر دریا افسانہ خواں ہمارا
اے ارض پاک تیری حرمت پہ کٹ مرے ہم
ہے خوں تیری رگوں میں اب تک رواں ہمارا22

يعتقد إقبال بأن المسلمين هم أحق أن يكونوا ورثاء الارض وحاكميها كما يشهد تاريخ العالم أنهم كانوا فاتحى العالم وحكامه وحفاظه، وقد أثبت المسلمون شجاعتهم وعدلهم ونظامهم في كل قطعة من قطعات الأرض حتى رنت آذان المسلمين في أودية الغرب والشرق معاً. والشاعر يعظ المسلمين بأن آباءهم وأجدادهم سجّل أسماءهم بماء الذهب في أوراق التاريخ لا يمكن الاستغناء عنه وإن اسماء المسلمين الفاتحين لا تزال بارزة في وجه التاريخ وهذا من المحال أن يمحو أسمائهم وآثارهم.

الربط بين الفرد والملة:

يحثّ محمد إقبال قومه على الربط بين الفرد والملة في شعره. كما من المعلوم، أن الربط بين الفرد والملة ضروري لإزدهار ونهضة الأقوام في العالم. كما يلقّن الشاعر قومه:

ملت کے ساتھ رابطہ استوار رکھ
پیوستہ رہ شجر سے امید بہار رکھ23

في هذا البيت يلقن الشاعر الفرد المسلم أن يربط دائماً بالملة الإسلامية، ويشبه الشاعر الملة بالشجر، كما يمضى كل الفصول على الشجر، ويعطي الشجر ثمره في فصل الخريف، كذلك يمر على المللة زمناً مختلفاً، وتعطى الملة فوائداً كثيرة في وقت النمو و الإزدهار. كما يقول الشاعر عن الربط بين الفرد والملة:

افراد کے ہاتھوں میں ہے اقوام کی تقدیر
ہر فرد ہے ملت کے مقدر کا ستارہ24

يعتقد الشاعر في هذا البيت أن تقدير الأمم بيد الأفراد وأن كل هو نجم تقدير الأمة، فالواجب على كل فرد أن يؤدي نصيبه في ازدهار وطنه. لو شعر كل فرد وظيفته ومسؤليته في أي مجال من مجالات

الحياة وكملها بالاخلاص، فترتقى وتزدهر الأقوام والشعوب، في هذا البيت يبين ويوضح الشاعر أهمية الفرد ودوره في تقدير الأمم.

النتائج والتوصيات:

إن أهم التوصيات والنتائج قد توصلت إليها خلال هذا البحث هي أن الشاعر العظيم يدعو قومه إلى جملة من المفاهيم الصحيحة للوطنية وينظر إلى عصر النهضة و العظمة والرفعة لشعبه و أن إقبال لديه كثير من الأفكار الواسعة الجيدة التي تحتاج إلى البحث والدراسة العميقة، ويمكن للباحثين أن يبحثوا في فلسفة شعره من جوانب مختلفة، أي أهتم إقبال بأفكار جليلة وفضيلة في شعره كفلسفة الذات أي فلسفة "خودي" لها أهمية عظيمة في شعر إقبال، ونجد معظم شعره منظوم في أهمية "خودي" ويتناول إقبال في شعره أهم العوامل التي تضعف الذات أي "خودي" و العوامل التي تقوي الذات الإنسانية كما كشفت النتائج أن أشعار اقبال قومية ساهمت في تكوين الفكرة التي ساعدت لقيام دولة باكستان وهناك ضرورة القراءة شعر وفكر اقبال في ضوء التحديات المعاصرة. وهكذا أكدّ إقبال أن الإسلام هو الرابط الحقيقي بين المسلمين في العالم وأظهرت هذه الدراسة أن شعر إقبال لم يكن فقط تعبير أدبي بل كان وسيلة إصلاحية وسياسية لبناء وعي جمعي إسلامي جديد.

الهوامش

1 أنيس ابراهيم وآخرون: المعجم الوسيط: استشارات، ط2، طهران.

2 أنيس المقدسي: الاتجاهات الوطنية في العالم العربي الحديث، سلسلة العلوم الشرقية للجامعة الأمريكية في بيروت، ١٩٢٥م، ١/٦١.

3 ابن منظور: لسان العرب، بيروت: دار إحياء التراث العربي. ١٩٨٨م، 338/15.

4 محمد قطب: مذاهب فكرية معاصرة، ط: ٢، دار الشروق ١٩٨٠م، ص: ٥٥٤.

5 المنجد الأبجدي: بيروت: دار الشرق. ١٩٨٦م، ١١٥٧.

6 أنيس المقدسي: الاتجاهات الوطنية، ١/٦٢.

7 محمد اقبال: بانک درا، لاهور: شيخ غلام على ايند سنز، 1976م، ص: 15.

8محمد اقبال: بانک درا، ص: 71.

9محمد اقبال: بانک درا، ص:76.

10محمد اقبال: بانک درا، ص:77.

11المصدر السابق، ص:45.

12المصدر السابق، ص:47.

13 نوشاهی، کوهر: مطالعه اقبال، لاهور: بزم اقبال کلب ردو، 1971م، ص: 160.

14 عطاء الله: اقبال نامه، لاهور: تاجر کتب کشميري، ص: 469.

15محمد اقبال: جاويد نامه، لاهور: شيخ غلام على ايندسنز، الطبعة السادسة، 1974م، ص: 192.

16محمد اقبال: بانک درا، ص:273.

17محمد اقبال: بانک درا، ص:136.

18 محمد اقبال: اسرارورموز، لاهور: شيخ غلام على ايندسنز، 1979م، ص: 157.

19 محمد اقبال: بانک درا، ص: ١٨٥.

20أرض الأندلس من على البحر تواجه من أرض المغرب تونس وإلى طبرقة إلى جزائر بني مزغنّا ثم إلى نكور ثم إلى ستبة ثم إلى البحر المحيط وتتصل الأندلس في البر الأصغر من جهة جليقية، وهي جهة الشمال ويحيط بها الخليج المذكور من بعض مغربها وجنوبها والبحر المحيط من بعض شمالها وشرقها (الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، بدون رقم الطبعة، بيروت: دار الصادر، بدون سنة النشر، 262/1.)

21نهر بغداد لا تدخله الألف والأم: إنه يخرج من هلورس وهلورس الموضع الذي استشهد فيه على الأرمني (الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، 440/2.

22 محمد إقبال بانك درا، ص: ١٥٩.

23محمد إقبال بانك درا، ص:248.

24محمد إقبال: ارمغان حجاز، لاهور: الفيصل ناشران و تاجران کتب، ١٩٩١م، ص: ٣٩.

المصادر والمراجع:

- ابن منظور: لسان العرب، بيروت: دار إحياء التراث العربي. ١٩٨٨م.
- أنيس ابراهيم وآخرون: المعجم الوسيط: استشارات، ط2، طهران.
- أنيس المقدسي: الاتجاهات الوطنية في العالم العربي الحديث، سلسلة العلوم الشرقية للجامعة الأمريكية في بيروت، ١٩٢٥م.
- الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، بدون رقم الطبعة، بيروت: دار الصادر، بدون سنة النشر.
- عطاء الله: اقبال نامه، لاهور: تاجر كتب كشميري.
- محمد إقبال: ارمغان حجاز، لاهور: الفيصل ناشران و تاجران كتب، ١٩٩١م.
- محمد اقبال: اسرارورموز، لاهور: شيخ غلام على ايندسنز، 1979م.
- محمد اقبال: بانک درا، لاهور: شيخ غلام على ايند سنز، 1976م.
- محمد اقبال: جاويد نامه، لاهور: شيخ غلام على ايندسنز، الطبعة السادسة، 1974م.
- محمد قطب: مذاهب فكرية معاصرة، ط: ٢، دار الشروق ١٩٨٠م.
- المنجد الأبجدي: بيروت: دار الشرق. ١٩٨٦م.
- نوشاهى، كوهر: مطالعه اقبال، لاهور: بزم اقبال كلب ردو، 1971م.